

المفارقة

لغة واصطلاحا

obeikandi.com

الدور الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في إبراز معنى كل منهما ، ولحنائه في قول الشاعر دوقلة المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد
ومع ذلك فلم تهتم البلاغة العربية بهذا النمط الفني ، لكنها صرفت جل اهتمامها بالبديع القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت مسمى (الطباق والمقابلة) ، كما عولجت المفارقة في أبواب بلاغية أخرى كالتورية والكناية والتعريض والتهمك

ثمن المفارقة اللفظية :

قوله الله تعالى :

﴿وَنَسِئَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِعَذَابِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ٣]

معروف أن البشرى تكون في المناسبات السعيدة والأخبار السارة ، غير أنها جاءت في هذه الآية الكريمة للدلالة على البشرى بالعذاب .

ولي إطار السخرية والتهمك :

نقول العرب : (رجل طويل الأذنين) .

ظاهر الكلام هنا أنه يصف عضوا من أعضاء الجسم ، ولكن دلالة اللفظ على أنه غبي قليل الفهم وهذا أدخل في باب الكناية .

ولي إطار التعريض :

ورد في العقد الفريد أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع امرأة وهي تطوف

بالبيت الحرام تقول :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد
ومنهن من تسقى بأخضر آجن
نقاخ فتلكم عند ذلك قرت
أجاج ولولا خشية الله قرت
والمرأة في هذين البيتين تريد أن تقابل بين امرأتين إحداهما تحت زوج نقي
الفم طيب الرائحة يرضي المرأة ، والأخرى تحت زوج أبخر خبيث رائحة الفم
لا يرضيها ولا يقدم لها ما تريد .

وقد فهم عمر مراد المرأة وما يحمل أسلوبها من موارد وتعريض بزوجهما
وكان عمر - رضي الله عنه - يتوقع من المرأة أن تدعو الله بشكل مباشر دون
مواربة ، لأنه العليم الخبير (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

ومن التصريحي (الإساءة)

فما روي : أن الخليفة العباسي المأمون قال لقارئ : اقرأ ، فقال :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾ (٣٠)

[سورة المائدة: الآية ٣٠]

فامر المأمون بحبس الرجل القارئ . لأنه أساء للمأمون الذي قتل أخاه الأمين
بسبب خلاف بينهما على الخلافة ، والمأمون يعرف قصة قابيل وهابيل في القرآن
الكريم فعلم أنه المقصود .

غير أن المفارقة التصويرية صياغة تختلف كل الاختلاف عن المطابقة
والمقابلة . سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية ، وذلك
لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، في جزء من القصيدة
وربما في القصيدة كلها (والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم

الدور الذي نقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في إبراز معنى كل منهما، ولحنائه في قول الشاعر دوقة المنجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد
ومع ذلك فلم تهتم البلاغة العربية بهذا النمط الفني ، لكنها صرفت جل اهتمامها بالبديع القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت مسمى (الطباق والمقابلة) ، كما عولجت المفارقة في أبواب بلاغية أخرى كالتورية والكناية والتعريض والتهكم

نمن المفارقة اللفظية :

فُؤل الله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣]

معروف أن البشرى تكون في المناسبات السعيدة والأخبار السارة ، غير أنها جاءت في هذه الآية الكريمة للدلالة على البشرى بالعذاب .

وفي إطار السخرية والتهكم :

فُؤول العرب : (رجل طويل الأذنين) .

ظاهر الكلام هنا أنه يصف عضوا من أعضاء الجسم ، ولكن دلالة اللفظ على أنه غبي قليل الفهم وهذا أدخل في باب الكناية .

وفي إطار التعريض :

ورد في العقد الفريد أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع امرأة وهي تطوف

بالبيت الحرام تقول :

فمنهن من تسقى بعذب مبرد نقاخ فتلكم عند ذلك قرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج ولولا خشية الله قرت
والمرأة في هذين البيتين تريد أن تقابل بين امرأتين إحداهما تحت زوج نقي
الفم طيب الرائحة يرضي المرأة ، والأخرى تحت زوج أبخر خبيث رائحة الفم
لا يرضيها ولا يقدم لها ما تريد .

وقد فهم عمر مراد المرأة وما يحمل أسلوبها من موارد وتعرض بزوجه
وكان عمر - رضي الله عنه - يتوقع من المرأة أن تدعو الله بشكل مباشر دون
موارية ، لأنه العليم الخبير (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

ومن التصريحي (الإساءة)

فما روي : أن الخليفة العباسي المأمون قال لقارئ : اقرأ ، فقال :

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُمْ نَفْسَهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣٠)

[سورة المائدة: الآية ٣٠]

فأمر المأمون بحبس الرجل القارئ ، لأنه أساء للمأمون الذي قتل أخاه الأمين
بسبب خلاف بينهما على الخلافة ، والمأمون يعرف قصة قابيل وهابيل في القرآن
الكريم فعلم أنه المقصود .

غير أن المفارقة التصويرية صياغة تختلف كل الاختلاف عن المطابقة
والمقابلة ، سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية ، وذلك
لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، في جزء من القصيدة
وربما في القصيدة كلها (والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صورته فكرة تقوم

على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفوق وتتماثل أو تعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقع الاختلاف ، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض ، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها .

وتبرز المفارقة في الأدب (شعره ونثره) في أشكال عدة :

فهي في الشعر تبدو في التضاد بين المفردات ، وأسلوب المقابلة في السياقات المختلفة ، وفي المفارقة المعنوية بين ظاهر الأشياء وباطنها وتلجأ - أحيانا - إلى السخرية في كشف باطن النص الخفي .
وفي المسرحية تأتي المفارقة في شكل كوميدي أو مأساوي ، تتأجج فيه العواطف والأفكار وتتقاطع ، (فقد تُضحك المفارقة بمأساتها، وقد تُبكي بسخريتها) .

لقد اعتمد الشعر العربي قديمه وحديثه في بناء نسيجه على عنصر المفارقة وأن أغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعرتها وبنائها اللساني على المفارقة وعمودها الفقري التضاد. سواء أكانت مفارقتها لفظية أم سياقية.
إن المفارقة جوهر في الأدب، لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء : الحياة والموت، المتصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا ، قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا .

والمفارقة نوعان :

- ✓ مفارقة لفظية .
- ✓ مفارقة الموقف أو السياق .

فالمفارقة اللفظية هي التي كون نيتها المعنى الطاهرى واضحًا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة.

وكثيرًا ما يكون المعنى فيها هجوميًا، وخاصة في شعر الهجاء. وهذه المفارقة

يتعمدها الشاعر، ويخطط لها، عبر السناد من المظهر والمخبر

يقول أحمد بن محمد يعقوب الملقب مكويه حاجيًا مهم :

ويا ذا المكارم والميم هاء	أيا ذا الفضل واللام حاء
ويا ذا الصيانة والصاد خاء	ويا أنجب الناس والباء سين
ويا أعلم الناس والعين ظاء	ويا أكتب الناس والتاء ذال
فأنت السخي ويتلوه فاء	تجود على الكل والبدال راء

انظر إلى المفارقة اللفظية هنا تجدها ماثلة في براعة الشاعر في وضع حرف

مكان آخر فتغير تبعاله الكلمة وتغير معناها الطيب إلى معنى سييء يحقق مقصوده وما يهدف إليه من ذم وهجاء .

ويقول الإمام الشافعي :

فأكره أن أكون له مجيبا	يخاطبني السفه بكل قبح
كمود زاده الإحراق طيبا	يزيد سفاهة فأزيد حلما

وتبدو المفارقة في مقابلة الشاعر بين زيادة الحلم وزيادة السفاهة ، ومخاطبة

السفيه وكراهة مخاطبته ، لتبرز دلالة المفارقة ، وتؤدي غرضها في التنفير من سلوك السفهاء.

أما النوع الثاني من المفارقة، فيعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء

والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان)

على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف ، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض ، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها .

وتبرز المفارقة في الأدب (شعره ونثره) في أشكال عدة :

فهي في الشعر تبدو في التضاد بين المفردات ، وأسلوب المقابلة في السياقات المختلفة ، وفي المفارقة المعنوية بين ظاهر الأشياء وباطنها وتلجأ - أحيانا - إلى السخرية في كشف باطن النص الخفي .
وفي المسرحية تأتي المفارقة في شكل كوميدي أو مأساوي ، تتأجج فيه العواطف والأفكار وتتقاطع ، (فقد تُضحك المفارقة بمأساتها ، وقد تُبكي بسخرتها) .

لقد اعتمد الشعر العربي قديمه وحديثه في بناء نسيجه على عنصر المفارقة وأن أغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعريتها وبنائها اللساني على المفارقة وعمودها الفقري التضاد. سواء أكانت مفارقتها لفظية أم سياقية.
إن المفارقة جوهر في الأدب، لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء : الحياة والموت، المتصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا ، قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا .

والمفارقة نوعان :

- ✓ مفارقة لفظية .
- ✓ مفارقة الموقف أو السياق .

فالمفارقة اللفظية هي التي تكون بها المعنى الطاهري واضحًا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة.

وكثيرًا ما يكون المعنى فيها هجوميًا، وخاصة في شعر الهجاء. وهذه المفارقة يتعمدها الشاعر، ويخطط لها، عبر السادس المطهر والمخبر يقول أحمد بن محمد يعقوب المنقب مسكويه هاجيًا : -م :

ويا ذا المكارم والميم هاءُ	أيا ذا الفضل واللام حاءُ
ويا ذا الصيانة والصاد خاءُ	ويا أنجب الناس والياء سينُ
ويا أعلم الناس والعين ظاءُ	ويا أكتب الناس والتاء ذالُ
فأنت السخى ويتلوه فاء	تجود على الكل والبدال راء

انظر إلى المفارقة اللفظية هنا تجدها ماثلة في براعة الشاعر في وضع حرف مكان آخر فتغير تبعاله الكلمة ويتغير معناها الطيب إلى معنى سييء يحقق مقصوده وما يهدف إليه من ذم وهجاء .

ويقول الإمام الشافعي :

فاكره أن أكون له مجيبا	يخاطبني السفه بكل قبح
كعود زاده الإحراق طيبا	يزيد سفاهة فأزيد حلمًا

وتبدو المفارقة في مقابلة الشاعر بين زيادة الحلم وزيادة السفاهة ، ومخاطبة السفه وكراهة مخاطبته ، لتبرز دلالة المفارقة ، وتؤدي غرضها في التنفير من سلوك السفهاء.

أما النوع الثاني من المفارقة، فيعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان)